زوجة الحجاج

تزوج الحجاج امرأة اسمها هند على الرغم منها ومن أبيها، وذات مرة، وبعد مرور سنة جلست أمام المرآة تندب حظها، وهي تقول:

وما هندُ إلا مهرةٌ عربيةٌ
سليلةُ أفراسٍ تحلَّلها بغلُ
فإن ولدت مُهرًا فللَّه درُّها
وإن ولدت بغلا فجاءَ به البغلُ

فسمعها الحجاج، فغضب، فذهب إلى خادمه، وقال له: اذهب إليها، وبلغها أني طلقتها في كلمتين فقط، لو زدت ثالثة قطعت لسانك، وأعطِها هذه العشرين ألف دينار، فذهب إليها الخادم، فقال: كنتِ، فبنتِ.

كنتِ، يعني كنت زوجة، فبنتِ، يعني أصبحتِ طليقة، ولكنها كانت أفصح من الخادم، فقالت: كنا، فما فرحنا، فبنا، فما حزنا.

وقالت: خذ هذه العشرين ألف دينار لك بالبشرى التي جئت بها، وقيل: إنها بعد طلاقها من الحجاج لم يجرؤ أحد على خطبتها، وهي لم تقبل بمن هو أقل من الحجاج،

فأغرت بعض الشعـراء بالمال، فامتدحوها، وامتدحوا جمالها عنـد عبدالملك بن مـروان، فأعجب بها، وطلـب الزواج منها، وأرسـل إلى عامله على الحجاز؛ ليخَبرهـا له، أي يصفها له، فأرسل لـه يقول: إنها لا عيب فيها غـير أنها عظيمة الثديين، فقـال عبدالملك: وما عيب عظيمة الثديـين؟! تدفئ الضجيع، وتشبـع الرضيـع، فلمـا خطبها وافقـت، وبعثت إليـه برسالة تقـول: أوافق، بشرط أن يسوق الراحلة مـن مكاني هذا إليك في بغداد الحجاج نفسه، فوافق الخليفة، فأمر الحجاج بذلك، فبينمـا الحجـاج يسوق الراحلة إذا بها توقـع من يدها دينارًا متعمدة ذلـك، فقالت للحجاج: يا غلام، لقد وقع مني درهم، فأعطِنيه، فأخذه الحجاج، وقال لها: إنه دينار، وليس درهمًا.

فنظـرت إليـه، وقالـت: الحمـد لله الـذي أبدلني بدل الدرهم دينارًا، ففهمها الحجاج، وأسرّها في نفسه، أي إنها تزوجت خيرًا منه.

وعنـد وصولهمـا تأخر الحجـاج في الإسطبـل، والناس يتجهـزون للوليمة، فأرسل إليـه الخليفة يطلب حضوره، فردّ عليـه: نحن قوم لا نـأكل فضلات بعضنـا، أو أنه قال: ربتني أمي على ألا آكل فضلات الرجال.

ففهم الخليفة، وأمر أن تدخل زوجته بأحد القصور، ولم يقربها، إلا أنه كان يزورها كل يوم بعد صلاة العصر، فعلمت

سبب عـدم دخوله عليها، فاحتالت لذلـك، وأمرت الجواري أن يخبروها بقدومه؛ لأنها أرسلت إليه أنها في حاجة إليه في أمـر ما، فتعمدت قطع عقد اللؤلؤ عند دخوله، ورفعت ثوبها؛ لتجمع فيه اللآلئ، فلما رآها عبدالملك أثارته روعتها وحسن جمالها، وتندم لعدم دخوله بها لكلمة قالها الحجاج، فقالت، وهي تنظم حبات اللؤلؤ: سبحان الله!

فقال عبدالملك، مستفهمًا: لِمَ تسبحين الله؟

فقالت: إن هذا اللؤلؤ خلقه الله لزينة الملوك.

قال: نعم.

قالت: ولكن شاءت حكمته ألا يستطيع ثقبه إلا الغجر.

فقـال متهللًا: نعـم، والله صدقتِ، قبـح الله من لامني فيك، ودخل بها من يومه هذا، فغلب كيدها كيد الحجاج.

شعر:

تموتُ الأسدُ في الغابات جوعًا
ولحمُ الضـأن تأكلُه الكـلابُ
وذو جهلٍ ينامُ على حريرٍ
وذو علـمٍ مفارشُـــه الترابُ